المبحث الثالث:ــ أنماط توازن القوى

اولاً: توازن القوى التقليدي:ــ

أ- المفهوم:ــ

هو ذلك النظام الذي هيمن على العلاقات الدولية منذ معاهدة ويستفاليا عام ١٦٤٨ وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية،والذي يقوم على التعددية السياسية وعلى وجود الدول القومية في اقاليم محددة . والمقصود بالتعددية السياسية هو تعدد الاقطاب الرئيسية والذي كان يقوم على وجود خمس دول رئيسية في الاقل. وعلى الرغم من ان سياسة توازن القوى التقليدي قد ارتبطت بظهور الدولة القومية الا انها سياسة قديمة ،فالدول منذ القديم عرفت مبدأ التوازن وان الاحلاف الدفاعية والهجومية قد اقيمت من قبل دول المدينة الاغريقية وكذلك الدويلات الايطالية في القرن الخامس عشر ، وحتى في المجتمعات غير المتحضرة للقبائل الهندية في امريكا في صراعهم مع المحتلين الاوربيين.

لقد كان نظام الدولة الاوربية يقوم على الوراثة، وقد عرف الملوك مبدأ توازن القوى كمصلحة عامة وحتى عندما تلغى الدولة او تزال فأنه يتم التضحية بها كما حصل لبولندا للحفاظ على توازن القوى بين النمسا وبروسيا وروسيا ، أي يجب التأكيد على ان الدول غالباً ما تكون منقادة نحو سياسة التوازن والحفاظ عليها .

ب ــ افتراضات توازن القوى التقليدي:ــ

يقوم هذا النظام على الافتراضات الآتية:ــ

١ــ ان كل الدولة تسعى الى زيادة قوتها من اجل تحقيق إغراضها الخاصة.

٢ــ وبالنتيجة كلما تتنافس الدول من أجل الحصول على القوة ولاسيما بين الدول ذات المصالح المتعارضة مثل المصالح الاستعمارية فأن هناك احتمال لقيام الصراع الدولي .

٣ــ من اجل رفع قدرتها الكامنة فأن الدول المتشابهة في الاتجاهات السياسية تدخل في حلف نتيجة لهيمنة احلاف او حلف منافس لها في النظام.

ضمن هذه الافتراضيات الثلاثة فأن انموذج توازن القوى يبين بأنه لايختلف عن أي نظام دولي اخر، ولكن عمل النظام يقتضي بأن كل مشارك فيه يضع قيمة عالية للتعادل.

ج ــالاستقرار في نظام توازن القوى التقليدي:ــ

يتسم نظام توازن القوى التقليدي بعدم الاستقرار ، لأن الاستقرار لا يستمر لفترة طويلة من الزمن اذ سرعان ما يؤدي الى حالة من اللاستقرار ووراء ذلك عدة اسباب :ــ

١ـ ان الدول لا تكتفي بما لديها من قدرات بل تسعي لزيادة قدراتها مما يؤدي الى حدوث فجوة بين قدرات الدول المتنافسة مما يسبب شعور بالخوف عندها لاسيما الدول المتأخرة في سباق التسلح وقد تنتهي بالحروب.

٢ـ ضعف مستوى الاتصالات بين اطراف التنافس والتي تكون ضرورية لأيضال المواقف وتجنب سوء تقدير الموقف.

٣ـ انعدام الإيديولوجية كعامل يمسك بأرضية التحالف.

٤ـ تبعاً لذلك كانت الدول اطراف التوازن تغير كفة التوازن وتنتقل الى الكلفة الاخرى للحفاظ على التوازن وتعديله كما تفرضه الظروف.

لهذا فأن توازن القوى هي ليست سياسة جامدة ولاتؤدي الى التعادل مستمر. وان الاحلاف قد دخلت في توازن القوى التقليدي باعتبارها إجراءات ملائمة وضعت من قبل علاقات القوة السائدة في وقت معين. ان كل دولة تحاول ان تجمع اكبر قوة ممكنة الى جانبها لضمان الحد الادنى من الامن ووضع جزء منها للاحتياط وتحت هذه الظروف فأن توازن القوى غير مستقر.

د ـ طبيعة نظام توازن القوى التقليدي :ـ

يمكن تقسيم الانظمة في ظل نظام توازن القوى التقليدي الى انظمة ثورية وأنظمة محافظة او معتدلة،والذي يحدد نوع ذلك هو طبيعة الاهداف والوسائل التي تستخدمها الدول ،وان نظام توازن القوى يمثل النموذج المثالي للنظام،فاللاعبون الرئيسيون يتصرفون بطريقة يعبرون بها بشكل متبادل عن طموحاتهم ويحافظون على توازن تقريبي للقوة ويقللون من درجة المجابهة.ومن شروط هذا النوع من النظام نجد التعددية ووجود قانون الشرعية الدولية .ان سياسة التوازن تدعو اللاعبين الرئيسيين لوضع اهداف معتدلة ويسعون لتحقيقها بوسائل معتدلة مثل الوسائل السلمية والحروب المحدودة،وان من مزايا النظام المعتدل ان تدرجية الدول ومرونة النظام تدفع الى خضوع الدول الصغرى تحت حماية الدول الكبرى فيكون المتنافسون منقسمين بواسطة طموحات تنافسية وليس بواسطة صراعات تلقائية ودائمة . اما المرونة فأنها تنجم عن التجانس وهذا النظام يعمل بدون ان تؤثر عوامل النظام السياسي في الداخل والإيديولوجية على العمل السياسي.

ثانياً:نظام توازن القوى ثنائي القطبية:ـ

أـ المفهوم :

لقد غيرت الحرب العالمية الثانية بشكل كبير جداً من جوهر السياسة الدولية،وواحدة من هذه النتائج او التغييرات تمثلت في خفض عدد القوى العظمى الى اثنين هما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي اذ توزعت مراكز القوى العظمى في العالم الى مركزين فقط .وظهور الصراع الايديولوجي بين هاتين القوتين الذي اكتنفته حالة عدم الثقة والمنافسة وسوء الإدراك .وحدث استقطاب في القوة ليس له مثيل على

الاطلاق في السياسة الدولية .وهكذا فأن عالم مابعد الحرب لم يشهد فقط المشاركة الفعالة لهما في الشؤون الدولية وانما شهد ايضاً احتكارهن المشترك في تقرير مصير العالم.

ففي نظام ثنائي القطبية هناك ثلاثة انواع من اللاعبين :ـ

١ـالدول الرئيسة : وهي الدول التي تسيطر على باقي ارجاء الكتلة بشكل هرمي لمنع اية حركة صعود في القطب او الكتلة الاخرى والحفاظ على تماسك معسكرها ، ووسائلها في تحقيق ذلك مختلفة مثل الحماية، العقوبات،التعويضات.

٢ـالدول الثانوية وهي الدول التي تنضوي تحت لواء احد القطبين بسبب روابط الصداقة او لاعتبارات الايديولوجية،انها تعمل وفقاً لأعتبارين :ـ

أـ ان مصالح الحلف الذي ستنتمي اليه يتفق مع مصالحها الخاصة .

ب ـان مصالح الحلف الذي ستنتمي اليه لاتتلاءم مع مصالحها الوطنية.

٣ـالدول غير المرتبطة بالمعسكرين: تعد من اللاعبين الخارجيين عن النظام وليس لها اية مصلحة للمشاركة في هذه الكتلة اوتلك،مثل دول عدم الانحياز.

ب ـ خصائص نظام توازن القوى ثنائي القطبية:ـ

١ـ انه نظام غير متجانس ويوصف بالثورية وغير مستقر ويشوبه العنف ويكون للمتنافسين فيه الخيار بين التعارض المؤقت والاتفاق الدائم،وتجعل فيه المنافسة الشاملة البحث عن الحلفاء مسألة غير عادية،ويعتمد بذلك كل قطب على اسناد الاطراف الثالثة.

٢ـ ان القطبين غير متطابقين،فالولايات المتحدة الامريكية كانت اغنى من الاتحاد السوفيتي،وذات نظام رأسمالي تطرح نفسها كزعيمة ومدافعة عن العالم الحر الذي يمتاز بسيادة مبدأ الحرية الاقتصادية واحترام القواعد الديمقراطية، اما الاتحاد السوفيتي فيقود المعسكر الاشتراكي والذي اتسعت حدوده من خلال الحرب والثورات .

٣ـ علاقة التوازن بالاطراف الثانوية الذي يعتمد مصيرها على لعبة الصراعات بين العملاتين، اذ انظمت هذه الدول بحثاً عن الحماية والمساعدات في مواجهة التهديدات، فقامت الكتل او الاحلاف في زمن السلم فتفرض فيها كل قوة نووية سيطرتها على الاخرين مقابل تقديم الحماية لهم فتكون دول تابعة للدول العظمى.

٤ـ وبظهور دول عدم الانحياز اصبحت الكتل اكثر تسامحاً تجاهها واصبحت الثنائية القطبية الصلبة مرنة اذ ترفض الدول غير المنحازة التفريط باستقلالها برفضها الانضمام الى أي من هاتين الكتلتين.

تعتبر القطبية الثنائية عن وضع نسبي للتوازن فالحدود بين الكتلتين "هي الحدود التي تقسم أوربا الى شطرين من البلطيق الى الادرياتيكي" كانت تفصل العلاقات بين الشرق والغرب الى منطقتين للنفوذ ويحظر على أي طرف من الطرفين المتصارعين بموجب اتفاق ضمني ان يتدخل بالشؤن الداخلية بمنطقة الاخر.

ج- أنواع توازن القوى ثنائي القطبية :ـ

يمكن تقسيم القطبية الثنائية الى قسمين :ـ

أولاً :ـ القطبية الثنائية الصلبة :ـ

وتعني توزيع قدرات العالم الى قطبين متنافسين وهما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي وسمي بالثنائية القطبية الصلبة لانها فترة انتشرت فيها الاحلاف من قبل الولايات المتحدة الامريكية وبعدها المعسكر الاشتراكي واستمرت هذه القطبية الصلبة من عام١٩٤٥ حتى منتصف الخمسينات ويتميز نظام ثنائي القطبية الصلب بما يأتي :ـ

١ـ ان الهدف الاساسي للحكومات في هذا النوع من النظام هو الانضمام الى تحالف مهيمن او مسيطر.
٢ـ يفترض ان القوة الفعلية قد انضوت تحت احدى الكتلتين بحيث لم يعد ممكناً قيام الدولة الحاملة للميزان.
٣ـ هدف هذا الانموذج من القوة هو المبادأة لدحر التحالف الاخر اذا حاول تجاوز حدود المعسكر الاخر.
٤ـ انه لايتضمن التعادل المطلق للكتلتين في القوة.

ثانياً: القطبيّة الثنائية المرنة :ـ

ظهرت متغيرات في الخمسينات من القرن العشرين حولت القطبية الثنائية الصلبة الى القطبية الثنائية المرنة،اذ ظهر داخل المعسكر السوفيتي عدم رضا عن السيطرة السوفيتية فحدثت توراث في شرق اوربا مطالبة بالتخلي عن الهيمنة الستالينية والانقسامات بين الاتحاد السوفيتي والصين المتطلعة لدور القوى الكبرى، ثم في الستينات من القرن العشرين كانت التحولات في زيادة عدد الدول الكبرى وبروز دول صغرى بعد تصفية الاستعمار، فسعت كل من القونين العظميين الى ادخال عدد من هذه الدول الى معسكرها لاظهار تفوقها الإيديولوجي، وغالبية هذه الدول النامية كانت تفضل عدم الارتباط مع أي من العملاقين مع قبول المساعدة من أي منهما بأقل ثمن. اذن ففي القطبية المرنة مثل الصلبة تكون قواعد السلوك متشابهة، ويكون الاعظاء مستعدين للدخول في حرب صغيرة وليست عامة، ويسعون لحل خلافاتهم بالمفاوضات اكثر من الصراع. وان التهديد بالدمار الشامل يؤدي الى اتفاق بعدم اثارة حرب بين الاطراف الرئيسة المتصارعة الذين يكون لهم مسؤوليات إضافية في القطبية المرنة تشمل المكافأة او العقاب الذي بواسطته تؤثر الدول القوية على سلوك الدول الاقل قوة مثل المكافأة الاقتصادية الحرمان الاقتصادي عروض سحب معدات الحرب او استخدام القوة في الحالات القصوى كالولايات المتحدة الامريكية في كوبا عام ١٩٦١

د- مستوى الاستقرار في النظام :ـ

يرى البعض نظام توازن القوى ثنائي القطبية نظام مستقر للاسباب الاتية:ـ

١ـ عدم حدوث تصادم مباشر بين العملاقين.

٢ــ تمكن العملاقين من السيطرة على بعض الازمات كحرب تشرين ١٩٧٣ بتجنب التصعيد وفرض التسوية على الاطراف المتصارعة.

٣ــ ظهور عدم الانحياز وتشكيله خطاً للمقاومة في مواجهة رغبة الدولتين العظميين في ادارة والسيطرة على شؤون العالم.

٤ــ مواجهة كل معسكر صعوبات في الحفاظ على تماسك وحدة معسكره، اذ ضعفت علاقة الاتحاد السوفيتي مع يوغسلافيا منذ عام١٩٤٨ والانقسام مع الصين وخروج البانيا عام ١٩٦٥ عن مركز موسكو. كما اهتز التماسك الغربي بخروج فرنسا من القيادة العسكرية لحلف شمال الأطلسي منذ اذار ١٩٦٦.

في حين ترى وجهة نظر ثانية بأن نظام توازن القوى ثنائي القطبية غير مستقر للاسباب الاتية:ــ

١ــ انه ينطوي على نزعة للتوسع فبالرغم من ان توازن القوى يسعى لكبح جماح الدول الراغبة في التوسع من خلال الضغوط الا ان نظام القطبية الثنائية زاد من الرغبات التوسعية طالما المنافسة بين القطبين فعالة.

٢ــ انه نظام لايساهم في تنشيط السلام الدولي ما لم تكن الدول المعنية تريد السلام.

٣ــ ارتبطت الثنائية القطبية برغبة القطبين من اجل السيادة العالمية او على الاقل في صراع للحفاظ على مركزهم النسبي وان أي فعل لواحد منهما يؤثر بشكل مباشر على موقف الاخر.

٤ــ ان تحقيق السلام عن طريق الازمات هي مسألة منتقدة ومشكوك بها، ومن الصعب القول بوجود سلام قائم على الحرب في ظل توازن القوى ثنائي القطبية، فمثلاً أزمات كوبا وفيتنام علمت اسلوب ادارة الازمة ولكنها علمت ايضاً على نشر اللاستقرار.

٥ــ انه غير مستقر لان كل معسكر يسعى بشكل دائم للحفاظ على تماسكه الداخلي والقضاء على تماسك خصمه،فعدم الاستقرار يمكن ان يهيئ الظروف لحرب عامة ومن الصعب اخلاء اوضاع العالم من عدم الاستقرار.

ثالثاً:ــ نظام توازن القوى متعدد الاقطاب:ــ

وهو النظام الذي يتألف من اكثر من ثلاث دول تمتلك قوة كافية لترجيح ميزان القوى بواسطة حلف. وفي ظل هذا النظام تكون بعض القوى اقوى من غيرها ولكن اياً منها ستكون غير قادرة على الهيمنة على النظام الدولي ، وفي الوقت ذاته فأن جميعها لديها الوسائل لمنع الهيمنة. ويتكون هذا النظام عند قيام عدة لاعبين بتشكيل كتل قادرة على اداء سلوك حقيقي وحينما يكون لأولئك اللاعبين قدرة السيطرة على الاحداث في المناطق الاقليمية او المناطق الخاصة بهم.

أ ــ معيار التعددية القطبية:ــ

يقوم معيار التعددية القطبية على امتلاك الاقطاب قدرة ردع نووية مستقلة،كالدول الكبرى التي تمتلك الاسلحة النووية: الولايات المتحدة الامريكية،روسيا الاتحادية،فرنسا،بريطانيا،والصين. وتتفوق الولايات المتحدة الامريكية وروسيا الاتحادية على غيرها من الدول الاخرى . فضلاً عن ذلك فبالإمكان الأستناد الى معايير اخرى لتقويم الاقطاب الموجودة كالثروة او النفوذ او الهيبة وهناك خصائص عديدة للقوة ولكن من الصعوبة بمكان تقويم وترتيب هذه العناصر هرمياً. وتحاول الدول المسيطرة تركيز ادوات القوة لمصلحتها وتقليديا كانت هذه الدول هي الافضل تسليحا والاغنى ثروة والأوسع نفوذاً، اما الان فقد تغير الامر اذ تفكك الارتباط بين ادوات القوة وتوزعت على شكل ترتيب غير متكافىء. اما القوة المادية والتجارية فهي في ايدي دول قليلة مثل المانيا واليابان.

ان قابلية النظام المتعدد للبقاء يعتمد على فهم ضمني وقيم مشتركة بين الدول وتعترف الدول في هذا النظام في حق غيرها في البقاء مع رغبة في التحالف فيما بينها مع أي دولة اخرى، وتغيير تحالفها يمنع أي حلف اخر من ان يصبح مهيمناً.

ب ــ الاستقرار في نظام توازن القوى المتعدد الاقطاب:ــ

يعاني نظام توازن القوى المتعدد الاطراف من مخاطر كثيرة تساعد على انتشار اللاستقرار،فعلى الرغم من سياسات تقييد القوى لانتشار السلاح النووي نجد ان هناك مساعي من قبل دول عديدة لامتلاكه فالى جانب الدول المالكة له تبذل دول عديدة صغرى مساعي حثيثة لتطوير تكنولوجيا نووية. واذا كانت فرص المواجهة النووية تتسع تحت نظام التعددية القطبية فأن هذه الحقيقة قد افضت الى السعي نحو معادلة التوازن من قبل الدول الاخرى التي تريد الحفاظ على النظام الدولي من الدمار او المجازفة بواسطة الحروب النووية. أي ان عدة دول صغرى او متوسطة او كبرى تعمل على منع المواجهة النووية. واذا كانت ارجحية التدمير النووي قد انخفضت تحت بعض الظروف في التعددية القطبية فأنه لا يقال نفس الشيء بالنسبة للحرب غير النووية او النزاعات المحدودة بين اعضاء المجتمع الدولي بكل اشكالها.

ان زيادة عدد اللاعبين والتعبئة الدبلوماسية يمكن ان يساعد على ابطاء عملية تصعيد التسلح وكذلك ابطاء عملية تخفيض التصعيد، الا ان خفض التسلح كمبادرة فردية لا يجوز على استجابة الاطراف الاخرى في عالم متعدد الاقطاب،

يرى كل من كارل دوتيش وديفيد سنجر بأن النظام المتعدد الاقطاب ربما يكون مستقراً على المدى القصير مقارنة بنظام ثنائي القطبية ولكنه يعاني من اللاستقرار على المدى البعيد. ويرجع ذلك الى الطموحات المتعارضة لاطرافه.

ومن ناحية اخرى يرى البعض بأن نظام تعدد الاقطاب اكثر قدرة على تحقيق الاستقرار الدولي للاسباب الاتية:ــ

١ــان نظام تعدد الاقطاب يوفر فرصاً أكبر للتفاعل بين الدول ومن ثم لتحقيق الاهداف الوطنية عن طريق تعامل الدولة الواحدة مع عدد من الدول المختلفة اذا تطلب الامر ذلك.

٢ــ يتميز نظام تعدد الاقطاب بتعدد المحالفات بين الدول طبقاً لكل قضية على حدة،فقد تتحالف دولة مع اخرى تحالفاً عسكرياً ولكنها ربما تتحالف مع دولة ثالثة تحالفاً اقتصادياً ويؤدي تقاطع هذه المحالفات وتشابكها الى ربط مصائر الدول ببعضها ومن ثم تحيقق الاستقرار الدولي .

٣ــ يؤدي نظام تعدد الاقطاب الى الحد من حجم الاهتمام الذي توجهه الدولة الى دولة الاخرى الداخلة في صراع معها ومن تجد يتضاءل احتمال تصاعد الصراع الى حالة الحرب.

٤ــ يؤدي نظام تعدد الاقطاب الى تحجيم سباق التسلح لأن اتجاه دولة واحدة لزيادة تسلحها قد لا يفسر على انه موجه بالضرورة الى القطب المضاد كما في القطبية الثنائية لكنه قد يفسر على انه موجه الى اي من الدول الاخرى في النظام.

٥ــ يتميز نظام تعدد الاقطاب بوجود الدولة الوسيطة التي قد تساعد على تسوية المنازعات بين الدول.

ج ــالانتقادات على نظام توازن القزى متعدد الاقطاب:ــ

اولاً: انه يزيد من النزاعات الدولية حيث تتشعب النزاعات في ظل نظام تعدد الاقطاب وتنتشر اهتمامات اللاعبين على كافة انحاء النظام وهكذا فأن مصالح وطنية ستتشعب .وبما ان عدد من اللاعبين هم من الكبار في النظام المتعدد الاقطاب فهذا يعني وجود محير للمطالب والمصالح ،فكلما زادت المطالب كلما اصبح صعباً المواءمة بينها،فالتعددية مع كثرة التنوع في الدول والمطالب ستعمل على زيادة الصراعات .

ثانياً:اذا كان نظام تعدد الاقطاب متجانس كما يروج له انصاره فأنه حتى التوزيع الواسع لانتشار الاسلحة النووية سوف يساهم في عدم استقرار النظام حيث ان دخول دول نووية جديدة وتركيزها على المصالح الوطنية سيزيد من المخاطر طالما ان الدول بطبيعتها مغامرة وبالتالي ستزداد النزاعات التي تدفع النظام نحو اللااستقرار .

ثالثاً: ينطوي نظام تعدد الاقطاب على حالة من اللاتأكدية ،اذ ان تغيير منفرد أي من قبل دولة واحدة في ترتيب الاحلاف او في النتائج العسكرية لصناع القرار والفرص يصبح صعب جداً ، وبما ان التعددية تثير تعقيدات كثيرة فأن النظام يواجه صعوبات في تحقيق الاستقرار ، والحرب قد تحدث ليس بسبب فشل الادارة ولكن من خلال سوء الفهم.